

يلعبهم انكار ذاتهم!! ألم يرد في كتابهم قوله تعالى «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»؟؟ هل الدين الذي كان صاحبه يدعو ربه لينجيه من القتل والصلب بقوله على زعمهم «ان أمكن فلتعبر غمى هذه الكاس» وزعمهم أنه لما حصل بالفعل صجر وخارت قواد وصرخ قائلاً «إلهي إلهي لماذا تركتني» كالدين الذي كان صاحبه لا يبالي بالأذى والقتل في سبيل نصرته الله ودينه وقد احتل من الاضطهاد اذات مدة ثلاث وعشرين سنة ما لم يحتمله سواه وهو يتلو قوله تعالى «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً» الآية أيها برهن للعالم على انكاره لذاته في سبيل هداية الناس وارشادهم الى الحق معها أصابه وكان يقابل سهام العدو بصدرة وحده ويقول «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»؟ الله أكبر . أين هذا من ذلك . فما كان أغنانا عن هذا الجدال كله لولا اعتداؤهم علينا . هل أوجب المسيح الزكاة والصوم والحج على متبعيه مثل ما أوجب القرآن . أليس في هذه الثلاث أكبر معنى لا إنكار الذات ونفع الناس والاستيلاء على الشهوات ووطئها بالأقدام وتحمل المصائب والمشاق للحصول على رضوان الله . أبعد ذلك يقولون ان المسلمين لا يعرفون معنى لا إنكار الذات الذي يظنون به ويدعون به بالسنتهم وهم أبعد الناس عنه وأكثرهم انغماساً في الملاذ والشهوات . ولكن ليقف القلم عنده هذا الحد وترجع الى ما كفايه

باب المقالات

﴿ دعوة اليابان الى الاسلام ﴾

خواطر وآراء

كان أشيع مندسنيين أن أولي الامر في اليابان قد عرفوا بارتقائهم في العلم والسياسة أن دينهم الوثني باطل وأنهم يبحثون في غيره من الأديان ليختاروا لهم منها ما يظهر لهم أنه أهداها سبيلاً، وأقومها قبلاً وأقواها دليلاً، وأقربها من صداقة المدنية، وأبعدها عن عداوة العلوم الكونية، وأنهم لاحت لهم بوارق دين الاسلام فأحبوا اكتناه كنهه، والوقوف على حقيقة شأنه، فراجعت حكومتهم في ذلك سلطان

العثمانيين، لأنه أكبر سلاطين المسلمين، شاع ذلك أيام أرسل السلطان عبد الحميد تلك السفينة الحربية (أرطغرل) إلى بلاد اليابان لتزور حكومتها وأرسل معها وفداً دينياً ليبين لها حقيقة الإسلام كما قيل ولكن السفينة غرقت قبل أن تصل إلى حيث تقصد ثم سكت الناس عن الكلام في إسلام تلك الأمة ونسوه ولم يكن قد ظهر لهم حقيقة أمرها في القوة والمدنية

ولما ظهر من أمرها في الحرب الأخيرة في هاتين السنتين مظهر، وغلب نور فضلها — وهي دولة الشمس — على نور القمر، أعاد المسلمون إلى حديثهم الأول في إسلامها فتحدث به المصري والسوري والهندي والروسي، والجزائري والتونسي والأفغاني والصيني، من غير مواطأة بين مسلمي هذه الأقطار، ولا تقليد أحد منهم الآخر في الأفكار، وإنما هو شعور بعثه في نفوس هذه الشعوب القصية، ما يعلمونه من الخطر على بقايا السطة الإسلامية، بما جبل عليهم حكامهم من الجهل والاستبداد، مع وقوف دول أوربا بهم بالمرصاد، وباعتادوا عليه — أعني المسلمين — من الاتكال على الحكام في الأعمال، والاستعانة بهم من خواطر التكافل والاستقلال، والنهوض بجلال الأعمال،

إسلام هذه الأمة العزيزة ذات الدولة القوية قد صار من الأمانى التي يتخيلها كثير من المسلمين المتفكرين، الذين يألمون من سلطة المخالف لهم في الدين، فمنهم من يلهو بتخيلها في خلوته، ويتمثل بما قال ذلك الشاعر في مشوقته،

أمانى من سمى عذاب كأنما سقتنا بها سعدى على ظناً برداً
مُنسى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى والا فقم عشنا بها زمناً رغداً

ومنهم من يتحدث بها في الأندية والسمار، ويشرح ما يكون لها من الفوائد والآثار، ويقول إن أسلم الميكادو فانا أول المبايعين، وأضمن له ذلك في جميع شعوب المسلمين، ومنهم من ارتقى عن الأمانى وهم أحلام المستيقظين، وعن لغو الحديث وهو فاكهة الكسالى والماجزين، إلى حيث من بطن فيهم كمال العلم بحقيقة الإسلام، على تأليف رسالة أو كتاب لدعوة أولئك الأقسام، ومنهم من يقترح أن يجمع شيء من المال، يجهز به دعاة من فضلاء الرجال، ليأتوا البيوت من

الأبواب ، وينشر والدعوة بالقول والكتاب ، ومنهم من ارتقى الى الاستعداد
للدعوة بالفعل ، ويقال انه قد اتدب الى ذلك أفراد من الشيعة في الهند ،
وأينا بعض أولئك المتمنين ، وتحديثنا مع بعض المقترحين ، فرأينا أن
السياسة هي ولدت في نفوسهم هذه الرغبة وقلما تجد فيهم من يود اسلام تلك
الأمة لباعث ديني خالص من شوائب السياسة وإني ليحزني أن لأرى في
قومي كثيراً ممن بهتم بنشر الاسلام لذاته رغبة في سعادة من يدخل فيه وفوزه
برضوان الله تعالى ويمزني عن حزني أن أرى الاهتمام بحفظ السلطة الاسلامية
عظيماً في نفوس كثير من المسلمين فان للاسلام ركنين أحدهما للآخرة
وثانيها للدنيا وان ضعف أحدهما هون من ضعفها كليهما وان كان القوي لا يفي
عن الضعيف الا أن يستند اليه المصلحون في اقامة الآخر وارجاعه الى أصله

قلت لبعض المتكلمين معي في هذه الأمانة ان اليابانيين مستعدون لقبول
دين يتفق مع العلم والمدنية والقوة وإنا نحن وإياكم لعلنا اعتقاد بأن الاسلام
الذي عليه المسلمون ليس كذلك والا لما حرموا من العلم والمدنية والقوة ما اعتربه
غيرهم، وأن الاسلام الذي جاء به القرآن الحكيم وبيته السنة السنية وكان عليه أهل
الصدر الاول هو كذلك ، ثم ان ما تطلبونه بدعوة هذه الأمة الى الاسلام هو الاعتزاز
السياسي بهم والتمتع العاجل بمجايتهم وانما يرجى هذا اذا وجهت الدعوة أولاً الى
ملكهم ورجال حكومته وهؤلاء قوم سياسيون يوشك ان لا يعتقدوا بقول أمثالنا في
بيان دين له ملوك وأمراء بدون استفتائهم فيه فاذا نحن كتبنا رسالة الدعوة وبيننا فيها
أصول العقائد والاحكام في الاسلام وأهمها عند هؤلاء شكل الحكومة وهو كونها
وسطا بين الديمقراطية والديمقراطية المتطرفتين مشروطاً فيها مشاوررة أولي الامر
في الشؤون السياسية واستنباط الاحكام وهم أهل الحل والعقد وأصحاب
المكانة والرأي—فما يشركم أنهم يراجعون في ذلك السلطان الذي يرون المسلمين
يلقبونه بخليفة النبي صلى الله عليه وسلم ويعترفون له بالرياسة الدينية واذا هم فعلوا
فماذا تتوقعون من جواب السلطان، ومن مفي الدولة الا كبر الملقب بشيخ الاسلام؟
قليل نتنظر أن يكون الجواب تكذيب الرسالة ولكننا نقول ان هؤلاء العقلاء

لا يستفتون حكومة شخصية مطلقة، في شأن حكومة شوروية مقيدة، بل يعتمدون على الدليل والبرهان، والاستشهاد على ما يدعون اليه بما مضت به السنة ونطق به القرآن، قلت المسألة فيما نظر، تجب فيها جالة الفكر،

وهنا خاطر آخر: اذا قلنا لهؤلاء القوم ان هذا الدين هو الدين الوحيد الذي حفظ أصله وضبط تاريخه فكتابه المنزل نقل بالتواتر الصحيح فهو يقرأ في مشارق الارض ومغاربها كما كان يقرؤه النبي وأصحابه، ويكتب في بلاد العرب والعجم كما كتبه حفظة الوحي وكتابه، وأن مفسره وبينه من السنة العملية قد تواتر كذلك تواتراً حقيقياً لم تنقطع سلسلته في يوم من الأيام، وما يؤثر عن النبي وأصحابه من الاقوال، قد ضبط ضبطاً لم يعهد مثله في جيل من الاجيال، ومع هذا كله نفرض عليكم ما رضىه جماهيرنا لانفسهم وهو ان يتبعوا في الدين رأي عالم من المجتهدين الذين أفتوا وعلموا بعد النبي وأصحابه بعشرات أو مئات من السنين، ولا ينبغ لكم أن تأخذوا الدين من كتابه المنزل، وسنة نبيه المرسل، وتردوا الشريعة من ينبوعها الاول، فان رضىتم بذلك عددناكم من المسلمين، والا كنتم في نظرنا من الضالين المضلين، — اذا فصلنا لهم هذا القول أقرهم يرضون بأن نكون لهم هداة مرشدين، على رهانا بحرمان أنفسنا من الاستقلال بفهم الدين، أترام يتركون لنا ونحن دونهم في العلم ما نجحوا به من الاجتهاد والاستقلال، والاعتماد في قبول أي شيء، أو رفضه على قواعد الاستدلال أترام يرون من الخير لدولتهم وأمتهم، ولسابقة الأوربيين في ثروتهم وقوتهم، أن يتعبدوا في أعمالهم السياسية والمالية والمدنية، بأقوال التارخانية والشرنبلالية والولوالجية، أو أمثالها من كتب المالكية والشافعية، ؟ كلا ان البدهة لتقضي بأن أمثال هؤلاء المستقلين في كل شيء لا يقبلون الا ديناً معقولاً مساعداً على مسابقتهم للامم الراقية في كل شيء، فيستحيل أن يقيدوا أنفسهم بفهم رجال غير معصومين وجدوا في زمان كانت سياسته وحرره ومدنيته ومعاملاته التجارية وغيرها مبانة لما عليه أهل هذا العصر مبانة تقضي باختلاف الأحكام، أو أن يدينوا باعتقاد العصمة لأئمة آل البيت عليهم السلام، ويأخذون ما يرويه عنهم الشيعة بالاستسلام، نحن نجزم بأن الاسلام دين الارتقاء الذي يناسب كل عصر فليس في كتابه

العزير ولا في سنته الثابتة التي لا خلاف فيها بين المسلمين ما يبطل ، بسيرامة مستقلة
ومسابقة لسائر الامم ولكن في الاحكام الخلافية التي هي محل الاجتهاد بين
الفقهاء ، فالأيوافق مصالح الناس في كل عصر ، فالنزاهة أقوال بعض المجتهدين وأتباعه في
أحكام المعاملات والسياسات والاخذ بكتب أي طائفة من الفقهاء هو عاتق الأمة
تلتزمه عن مجازاة أم لا تلتزم الاماترى فيه مصلحتها التي تختلف باختلاف ما يستحدث
الناس آناً بعد آناً من ضروب التفتن في الكسب واستثمار الأرض . فمن يدعو
اليابانيين الى الاسلام يجب أن يكون عالماً بالكتاب والسنة وما في هذا المصير
من طرق مدنية الامم والدول وأن لا يلتزم الدعوة الى مذهب معين والا كان من
الخاصين ، والويل لهذه الدعوة اذا جاءت من قبل شيوخ الرسوم المقلدين ، وأين
نجد هؤلاء الدعاة الهداة المهديين ،

ومن المسائل التي يجب اجالة الفكر فيها عند البحث في هذه الدعوة « مسألة
الوطنية » التي يدعو اليها بعض الاحداث المتسمين بغواية أوربا أو اغوائها للمسلمين
ومن مقتضاها على ما يعرف القراء ان المسلم الياباني اذا جاء بلاداً اسلامية غير بلاده وأراد
الاقامة فيها يجب أن يعد دخيلاً وأن يسعى الوطنيون في مقاومته وعرقلة أعماله لئلا
يربح من بلاده ما هم أحق به في شريعة الوطنية وان كانت أعماله خدمة لهم حتى
في دينهم أو ترقيه بلادهم وان كان لا يوجد في البلاد من يعني عنه فيها
اذا سرى سم هذا الضرب من الوطنية في كل قطر من الأقطار الاسلامية ألا
يكون مانعاً من استفادة بعضهم بما يفضلهم به الآخرون من علم وعمل ؟ اذا كان اليابانيون
أنفسهم على هذه الطريقة فهل يهيمهم من أمر المعري والسوري والمغربي ما يحماهم
على إفادة اخواتهم في هذه البلاد ، أو تود من عزة وقوة وعلم وصناعة ؟ ماذا ينتظر أهل
مذهب الوطنية الكاذبة من دخول اليابانيين في الاسلام ومن أصول مذهبهم أن
الرابطة الجامعة بين الناس هي عصبية البقعة لا الدين ولا اللغة بل ولا السياسة فان
أحداث الوطنية في مصر لا يمدون العثماني السوري شريكاً لهم في وطنيتهم ، ولكن
الشعور بميل المسلمين في مصر الى اسلام اليابانيين وباستفادتهم منه يدلنا على أن
الرابطة الاسلامية لا تزال أقوى من الرابطة الوطنية التي يدعو اليها الاحداث الجاهلون

ولا ينسين المتني او يسلم اليابانيون والباحث في دعوتهم ليمتز باسلامهم في بلادهم وان بعدت عنهم أنهم اذا قصدوا الى الدخول في سياسة بلاد غير بلادهم فان حكومتها اذا كانت اسلامية تناهضهم باسم الدين وعلماء الرسوم المقلدون يؤيدون حكوماتهم في أمثال هذه الامور بل هم عضد المسكلم وأنصارهم في كل شيء فهم يقتولون لهم بكفر اليابانيين لاسيما اذا كانوا لا يلتزمون في اسلامهم اتباع مذهب من المذاهب الاربعة في الاحكام واتباع الاشاعرة او الماتريديية في تقرير المقائد هذا اذا كانت الحكومة التي تقاومهم تنسب الى أهل السنة كالدولة العثمانية أو اتباع مذهب الشيعة اذا أرادوا الدخول في سياسة الدولة الإيرانية وبذلك يكون دخولهم في الاسلام لاجل السياسة فتنة للمسلمين لا يستهان بها ولا يسهل الحكم بنتيجتها

وقد يقال لولم تستفد البلاد الاسلامية البعيدة عن اليابان من اسلامهم الا الاستفادة المنصوية لكفى وأدنى هذه الفائدة أن تخفف أوربا وطأتها عن المسلمين في مستعمراتها بل وفي الممالك الاسلامية المستقلة التي يعيث الدول باستقلالها كل يوم حتى صار مهدداً بالزوال والعياذ بالله تعالى ولا يبعد أن يلهم الله ملوك المسلمين رشدهم في حالفون هذه الدولة العريضة اذا قضت حكمها بأن لا تنازعهم على لقب «الخليفة» الذي كان يركن كل بلاء وعلّة كل شقاء أصابا هؤلاء المسلمين ماضيهم وحاضرهم. أقول وان أمام هذه المحالفات ووراءها من مقاومة أوربا ما لا ينكره بصير ولا فائدة لنا في الخوض فيه وإنما نودع هذا المبحث الجديد (تمني اسلام اليابانيين) من المسائل والخواطر ما يدكر الناسي وينبه الغافل الى المسائل التي يفيد تذكرها والتفكير فيها لتجدن أجدر المسلمين بالاستفادة من اسلام اليابانيين - لو حصل - مسلمي الصين وان استفادة الدولة اليابانية منهم لا أكبر من استفادتهم منها ذلك ان مسلمي الصين لا يقل عددهم عن عدد اليابانيين وهم أشد أهل الصين بأساً وأعز نفراً، وأبرع في الجنسية وأحسن أراء، فيسهل على الدولة اليابانية على قربها منهم، ومعرفة كثير من رجالها بلغتهم، ان تستعين بهم على ما تريد مملكة الصين فتسود في الشرق الأقصى سيادة تمتد شعاعها الى الشرق الأدنى، فيحييه حياة جديدة تكون مبدأ لدخول

العالم كله في المدنية الفضلى، واستقامته على الطريقة المثلى، بالجمع بين الدنيا والدين بين مطالب الجسد والروح بين سعادة العاجلة والآخرة وذلك هو الفوز المبين تلك الخواطر التي عارضت الفكر وهو يجول في رياض هذه الامنية هي من أهم مسائل الاصلاح التي تذكرنا بمواضع ضعفنا وناهيك بمسألة فقد العلماء المستعدين للدعوة الصحيحة الى الاسلام التي يقدر أصحابها على التأسي بالانبياء عليهم السلام في مخاطبتهم الناس على قدر عقولهم وبما يناسب استعدادهم . انك لتدخل بيوت بعض علمائنا فتجد فيها ألواحاً معلقة على الجدران مكتوباً عليها بخط يلفت جلاله النظر (العلماء ورثة الانبياء) وألواحاً أخرى مثلها في الجمال والبهاء كتب عليها (علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل) (*) علق لتوهم الزائر ان صاحب الدار من هؤلاء الورثة ولكن الخبر الذي لا تخدعه الازياء ولا تغره الرسوم يعلم أن واحداً من هؤلاء العلماء الرسميين لا يقدر على اقتناع أحد من أهل هذا العصر بدعوة الاسلام بل يخشى أن يكون حديث الواحد منهم في الدين مع أهل العلوم الاجتماعية والسياسية حجاً باً كثيراً دونه بل شبهات قوية تصد عنه . واذا كانوا يعجزون عن كشف شبهة تعرض لتلميذ يتلقى العلوم العصرية وهو مؤمن بالله ورسوله وكتابه ولكنه جرى في التعليم على أخذ العلم بالدليل فأني يقدرون على تمثيل الدين افلاسفة العصر وساسته معقول العقائد سامي الاداب منطبق الاحكام على منافع الامم في ثروتها ومدنيتها ومصالح الدول في ادارتها وسياستها ويقنعونهم بأن الاسلام لا يعيد العقل الى وثاقه ولا يكبل الفكر بأوهامه فيقيد العلم بعد اطلاقه ثم يدحضون بالآيات البينات ما يوردونه عليه من الشبهات أين يوجد هؤلاء العلماء في المسلمين؟ واذا عطس الصبح فظهر واحد منهم أيعترف له الرسميون بالعلم والدين؟ وهل الحكام والعوام إلا تبع لهؤلاء الرسميين الضخام وهم مجموع المسلمين ودين الناس مما يقرره علماء وهم الرسميون لحكامهم وعاءتهم . ناظر مناظر بعض العلماء الغربيين

(*) العبارتان ترويان في الاحاديث المرفوعة فأما الاول فحديث له أصل وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه عن أبي الدرداء ولكن اسناده مضطرب . وأما الثاني فموضوع قال ابن بحر والزر كشي لا أصل له

في كثير من مسائل الاسلام التي يشتبهون فيها فنفض بالحجة فقال له مرة إن ما تقوله صحيح ومعقول ولكنه فلسفة وعقل لا دين وإنما دين الناس ما هم عليه . وقال مرة أخرى أرأيت اذا سألت علماء الازهر ماعدا الشيخ محمداً عبده عن هذه المسائل يجيبونني بمثل هذه الاجوبة ؟ قال لا أدري بماذا يجيبون وحسبك أن تعلم ان هذا هو الاسلام من اسنادي اياه الى القرآن والسنة

الدعوة الى الدين لا يقوم بها في هذا العصر كل من قرأ السنوسية والصقائد النسفية، ولو وقف مع ذلك على المواقف العضدية، وكل ما يقرأ في الازهر من الكتب الفقهية، للدعوة معارف أخرى منها فمنها فهم الكتاب العزيز، والاطلاع على السنة ومعرفة ما فيها من حكم التشريع، ومنها معرفة السيرة النبوية وتاريخ الاسلام، والبصيرة في علم الاجتماع والتاريخ العام، والإلمام بآثار العلوم المصرية، والاطلاع على ضروب الاساليب المدنية، ومنها غير ذلك مما يتعلق بالدعاة ومن تراد دعوتهم وقد فصلنا القول فيها من قبل فليراجعه في المجلد الرابع من شاء وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يحاول اعداد فريق من طلاب العلم في الازهر للدعوة ولكن السياسة ما زالت تعارضه في عمله وتغري بذلك أهل الجور من الشيوخ حتى جاءه الاجل، قبل أن يتحقق له الأمل .

الاستعداد للدعوة يسير على أهل الازهر اذا سلكوا سبيل الإصلاح التي كان يريد بها الاستاذ الامام ولكن أنى لهم بمثل الزعيم الذي فقدوا . وان في فضلاء المسلمين من غير أهل هذا المكان من هم أقدر على هذا العمل اذا حاولوه وإنما يحتاجون فيهم مع الهمة والعزيمة الى المال وأغنياء المسلمين لا يزال أكثرهم حليف الجهل وأسير البخل . وقد يتوهم الكثيرون منهم أن دعاة النصرانية المنتشرين كالجراد في جميع البلاد تنفق عليهم دولهم من خزائنها والصواب ان جميع نفقات جمعياتهم ومدارسهم مما يتبرع به أولو الطول منهم وهي نفقات تبلغ الملايين من الجنيهات . فأين هذا السخاء الذي يؤيد به هؤلاء الناس دينهم من شع قومنا وقبض ايديهم عن كل ما يؤيد الدين ، و ينفع جمهور المسلمين ، واعجب منهم اذا فتخبر عليهم بأننا أشد غيرة على ديننا منهم على دينهم ، فأنجلنا بحالنا وحالهم ،